# معـــــاني الفلسفة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

تفضل صديق الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فكتب عن كتاب « معانى الفلسفة » كلمة ، فلا يسعنى إلا أن أشكره على ذلك ، فقراءة الكتاب دليل على العناية ، ونقده أدل فى الرعاية .

وصديقنا يمتاز بخصلة حميدة هى التواضع ، فما كاد يقرأ الرأى الذى دعوت إليه من أن كل إنسان ما دام يفكر فهو صاحب فلسفة ، حتى نظر إلى نفسه فأدرك آخر الأمر أنه « كـكل إنسان عادى ليس فيلسوفاً مشتغلا بالفلسفة . وأدرك أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً » .

ولا شك عندى أن التواضع هو الذى صرف الأستاذ عبد الغنى عن الانتساب إلى الفلسفة ، والدخول فى زمرة الفلاسفة ، لأنه يقنع بصحبة الأدب والانتساب إلى الشعراء ؛ كأنه يريد أن يقول إن الشعر والفلسفة يتعارضان فلا يلتقيان ولا يجتمعان ، ولهذا ضرب المثل بشاعرين وقال « وإلا لكان زهير بن أبى سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التى وضعها فى معلقته ، أو كان أبو العلاء المعرى فيلسوفاً بما له من وجهة نظر خاصة فى الحياة » .

الشعر لا يتنافى مع الفلسفة ، فقد عبر الفلاسفة الأقدمون عن آرائهم نظماً ، وفى اليونان كثير من الفلاسفة سجلوا فلسفتهم فى قصائد ، مثل اكسانوفان الذى دعا إلى الوحدانية ، وبارمنيدس صاحب الفلسفة المثالية . وإذا كان الأمر كذلك فلم يجد كثير من النقاد بأساً أن يسموا أبا العلاء المعرى فيلسوفاً ، حتى لقد اشتهر بفيلسوف المعرة ، وجرت هذه العبارة على الألسن وشاعت بين الأدباء .

وعندى أن النزعة الجديدة التى نجدها عند فلاسفة اليوم من الاتجاه نحو تعريف الفلسفة بمعناها الواسع ، فتشمل جميع الناس والخلاف بينهم فى الدرجة ، ومن الانصراف عن المعنى التقليدى الذى ساد فى العصور القديمة والوسطى ، هذه النزعة ترجع إلى قرنين من الزمان . ذلك أن ديكارت ، أبا الفلسفة الحديثة ، دعا فى القرن السابع عشر إلى أفكار جديدة ، كانت أساساً للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والعقلية التى نحياها الآن . فهو يستهل أعظم كتبه أثراً ، مقال عن المنهج ، بقوله : « العقل السليم أكثر الأشياء توزعاً بين الناس بالتساوى » . وإنما يقع الخلاف بينهم فى المنهج الذى يسلكونه فى التفكير . ولقد أدت هذه الدعوة إلى المساواة القائمة على أساس من المساواة فى العقل ، إلى الثورة الفرنسية التى نشبت تطالب الحرية ، والإخاء ، والمساواة . ونجحت الثورة ، وأصبحت المساواة فى الحقوق السياسية وأمام القانون حقيقة ثابتة اعتنقتها جميع الدول ، وقامت عليها الدساتير .

أليس غريباً بعد ذلك أن نبيح الحقوق السياسية لجميع الناس ، ثم نقصر حق التفكير على بعض الناس دون بعضهم الآخر ، لأن التفكير هو النظر ومعرفة حقائق الأشياء ، فيترتب على ذلك سلوك كل إنسان فى الحياة بمقتضى تلك المعرفة ، ولا يهمنا أن يكون ما يعرفه زيد صحيحاً أو فاسداً ، وإنما يهمنا أنه يعتقد بما يعرف ، وأنه يزعم أنه يعرف .

وهل يوجد من هو معصوم من الخطأ ، أو يبلغ مرتبة الكمال فى التفكير ؟ .

ولقد كان هذا التعريف مقبولا عندما كانت الفلسفة تشمل كل فرع من فروع المعرفة ، أو بمعنى أصح عندما كانت العلوم فروعاً من شجرة الفلسفة . فلما بدأت العلوم تستقل وتنفصل واحداً عن الآخر ، لم يبق للفلسفة موضوع فى زعم بعض المفكرين ، وأن موضوعها عند البعض الآخر هو البحث فى العقل ، ذلك الذى يبحث فى العلوم نفسها وفى المسائل الإنسانية التى تتعلق بالسلوك وقيمته من خير وشر .

فإذا كان الأمر كذلك فقد ارتدت الفلسفة إلى ما كانت تبحث فيه أيام سقراط ، إذ انصرف عن البحث فى الطبيعة إلى

البحث فى الإنسان .

ولذا قيل إن سقراط هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض . فإذا عرفنا ذلك لم نعجب إذا رأينا سقراط يعلم حكمته فى الأزقة واللاعب والأروقة وفى كل مكان ، ويلقيها على كل إنسان . ذلك أنه كان يعد المعرفة صادرة عن باطن النفس ، ولهذا يكفى أن ينعطف المرء على نفسه ويتأمل فيها ليصل إلى الحقيقة ؛ وهذا هو السبب الذى من أجله اتخذ الشعار المكتوب على معبد دلفى « اعرف شعار نفسك » شعاراً له .

فالفلسفة السقراطية لم تقصر هذا الفن على فئة دون فئة ، بل ذهبت إلى أنها حق مشاع لكل إنسان ، يهتدى إليها بالتفكير والنظر .

ولقد كانت الفلسفة فى عهد سقراط حية ، تدور على الألسنة وتصبغ حياة الناس فى أعمالهم .

وهذا هو الذى نريده ونرمى إليه : أن تكون الفلسفة حية تخرج من « الأبراج العاجية » حيث تنحصر فى اصطلاحات يعلم الله إذا كان أصحابها يفهمونها أو لا يفهمونها ، لتنزل إلى ميدان الحياة ، فإن كانت جديرة بالوقوف على أقدامها بحيث تقبلها « العقول السليمة » التى حكى عنها ديكارت ، كانت جديرة بالحياة

والرأى الذى أدعو إليه الآن من إشاعة الفلسفة فى كل إنسان ، هو أجدر الآراء ملاءمة للعصر الذى نعيش فيه ، عصر الديمقراطية والحرية .

ومهما يكن من شىء فالمسألة مسألة خلاف بين القديم والجديد : رأى القدماء أن الفلسفة جماع الأفكار المنظمة عن الكون والإنسان ، ورأى كثير من المحدثين أنها الأفكار عن الكون والإنسان ، أما تنظيمها باصطلاحات خاصة وبشكل خاص فليس هذا ضروريا .

ذكر الأستاذ آدم نوكس ، أستاذ الأدب بجامعة اكسفورد فى مقدمة كتابه عن أفلاطون وكيف ينبغى أن نقرأ محاوراته ، يقول ما فحواه : إن الذين كانوا يقرءون أفلاطون كانوا يهدفون طول الوقت إلى استنباط قصده وفكره ، ويحملون النصوص فوق ما تطيق . وليست هذه الطريقة هى أجدر الطرق فى معالجة كبار المؤلفين . ولن تكون هذه الطريقة هى الطريقة المثلى لفهم شكسبير مثلا ، ولو أنه كان فيلسوفاً كبيراً على طريقته . ولكنه لم يكن الفيلسوف صاحب المذهب أو الفيلسوف قبل كل شىء . »

« Though he was a great philos opher in his way too, But he was not systematieally or primarily a philosopher. »

فالأستاذ آدم نوكس يعد شكسبير فيلسوفاً ، وفيلسوفاً على طريقته الخاصة ، وهى أن لكل إنسان نظرة فى الحياة . ولا يعده فيلسوفاً على المعنى الضيق المصطلح عليه .

وهو كذلك يعد أفلاطون فيلسوفاً حسب النزعة القديمة ، ويريد أن يجعل منه أديباً فناناً قبل أن يكون فيلسوفاً ، لأن محاوراته تعد من روائع الأدب والفن الرفيع .

وإنى أعتقد أن الأستاذ عبد الغنى لو عاد إلى نفسه وتأمل فيها على الطريقة السقراطية لتبين له أنه على هذا المعنى ، فيلسوف ... ولكن إلى حد ما

أحمد فؤاد الأهوانى


مطبعة الرسالة :

تقدم إلى عشاق الأدب

وحى الرســـالة

فى مجلدين

يطلب من دار الرســـالة

ومن المكتبات الشهيرة

ثمن كل مجلد ٤٠ قرشاً عدا البريد